-قيام المرية قاعدة بحرية

ظلت بجابة تحتفظ بمكانتها طوال النصف الاول من القرن الرابع الهجري ولكنها اخذت تفقد بالتدريج اهميتها منذ أن امر عبد الرحمن الناصر ببناء المرية وتمصيرها سنة 344ه.

وفيها تحل مراكب التجار وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب " . وبازدهار وتألقها اضمحلت بجانه ، وأصبحت في طليعة القرن الخامس الهجري مجرد قرية ، في الوقت الذي ارتفعت المرية الى مصاف الحواضر .

وأصبحت المرية اهم موانئ الاندلس في القرن الرابع الهجري واشهر مراسيلها وأعمرها ، وكان خليجها العميق الفسيح يضم معظم وحدات الاسطول الاندلسي ، فكانت المرية مرفأ أساطيل الاندلس ، وكانت دار الصناعة بالمرية تقوم بأنشاء السفن والعدة والآلات اللازمة للسفن وما يقوم به الاسطول ، وكان يحصن دار الصناعة برج يقوم على بابها ، مهتمة بدعم أسوارها والدفاع عنها في حالة اقتحام الاعداء لثغر المرية .

وكان لقائد أسطول المرية أهمية خاصة في الدولة الاموية ، حيث لم يكن يقطع فيها برأي دون الرجوع الى ثلاث شخصيات : الاول قائد جيش سرقسطة حاضرة الثغر الاعلى لأهمية موقعها ، والثاني قاضي قرطبة ، الثالث قائد أسطول المرية .

ويرجع سر اختيار الخليفة عبد الرحمن الناصر لهذه المدينة لتكون مرفئ الاساطيل الاندلس وقاعدة للحط والاقلاع الى حصانتها من جهة البر ، والحصانة والمنعة شرط من الشروط اللازم توافرها في المدن الساحلية. وبالإضافة الى هذا الشرط تمتاز المرية بتوافر شرط آخر وهو ان تقع المدينة الاسلامية بالقرب من نهر ، والى جانب هذه المزايا ، كان خليجها شديد الاتساع والعمق بحيث يمكنه ان يضم عددا كبيرا من السفن ، بالإضافة الى أنه كان يمتاز بهدوء مياهه وقلة أمواجه .

اكتسبت المرية ، شهرة كبرى في التجارة العالمية ، وقد عرفت بأنها باب الشرق ومفتاح التجارة والرزق ، على الرغم من قلة خيرات اقليمها ، واعتمادها على ما كان يجلب اليها من ساحل العدوة من ميرة وأقوات ،والسبب في شهرتها التجارية يرجع الى أنها كانت محط السفن القادمة من المشرق الاسلامي والاقطار الاوربية .

الفصل الرابع

* **مرحلة الضعف وعصر الطوائف**

دراسة في الاحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي ادت الى ضعف ونهاية الخلافة الاندلسية نوجزها بما يأتي :

1- ظهور التيار المرواني بعد وفاة الحاجب المنصور العامري الذي استغل الوضع وانتهز فرصة غياب القوة.

2- ظهور الأحقاد السياسية الطامعة بالسلطة من زعماء ورؤساء متنفذين في مدن الاندلس والتفاف اعداد من الموالين والمؤيدين لهم.

3- الإرهاق والمتاعب التي لحقت بالجيش الاندلسي من جراء الحملات العديدة التي شنها الحاجب المنصور العامري والتي ارهقت الميزانية الاقتصادية .

4-كان للممالك الاسبانية دور بارز واثر مهم في تدهور الاوضاع وضعف الخلافة لكثرة الاعتداءات الحربية على الثغور الاندلسية وعدم التزام ملوك الاسبان بالعهود والاتفاقيات المعقودة مع حكام الاندلس فضلا عن دور الممالك في التحريض على اعمال الشغب والفتنة في داخل الاندلس .

5- سياسة القوة والبطش والعنف التي مارسها الحاجب المنصور العامري وابنه المظفر مع كبار الموظفين في الخلافة والعمل على تصفيتهم مما جلب النقمة والغضب والحقد عل الحجاب، حيث سارع احفاد الموظفين للانظمام الى اي تيار معادي ومخالف لتغير السلطة الاندلسية .

6- دور النساء في التدخل بشؤون السلطة والتحريض على التآمر على الحجاب العامريين كالسيدة صبح الاسبانية والذلفاء أم محمد المهدي التي اتهمت بقتل الحاجب المظفر .

1. كان للقبائل البربرية في الاندلس دور فعال في أثارة اعمال الشغب والفتنة تحت قيادة محمد بن هشام بن عبد الجبار الملقب بالمهدي الذي نجح في كسب فئات متعددة من العامة الغاضبين والساخطين والمتسولين في تمرده وعصيانه ،
2. ثم اقتحام دوائر الخلافة , حيث خربت ودمرت وفتحت أبواب .
3. تم تخريب مدينة الزاهرة وتدميرها.
4. الأعتداء على الخليفة هشام الثاني الذي أصابه الذعر لما سمعه وتم وصفه له من خراب ودمار للأندلس .
5. ومن أخطر الاحداث التي شهدها الاندلس هو استعانة القادة الثائرين والطامعين بالسلطة واتصالهم بحكام وملوك المماليك الإسبانية يطلبون العون والمساعدة إلى ايصالهم إلى كرسي الخلافة
6. سقوط اعداد كبيرة من المسلمين ضحية العدوان والغدر والانتقام في هذه الفتنة

-عصر ملوك الطوائف في الأندلس ( 422-484ه/1031-1091م)

بعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس تبعها انقسام البلاد الى دويلات صغيرة متنازعة ، اذ أنفرد كل كيان منها على حدة ،واستقل كل أمير بناحيته وأعلن نفسه ملكا عليها ،وبذلك دخلت الاندلس في عصر جديد هو عصر ملوك الطوائف ، حيث حكم كل منها في الأغلب أسرة يتوارثها ابناؤها ولكل حاكم وزراؤه وقضاته وقادته ورجال مملكته ولكل مملكة عاصمة هي إحدى القواعد الاندلسية يتبعها عدد من المدن والقرى والحصون وتتغير حدود عدد منها بين مد وجزر ، بسبب نزاعها فيما بينها أو مع مالك إسبانيا المسيحية ، والضعيفة منها ، تحتويها أحياناً المملكة القوية وأهم هذه الممالك (الطوائف ) هي :

1. ممكلة أشبيلية : تقع غرب الاندلس وحكمها بنو عباد.
2. مملكة غرناطة : تقع جنوب الاندلس وحكمها بنو زيري.
3. مملكة سرقسطة : تقع في الثغر الاعلى وحكمها بنو هود.
4. إمارة قرطبة : تقع وسط الاندلس وحكمها بنو جهور.
5. مملكة طليطلة : تقع في الثغور الاوسط وحكمها بنو ذي النون.
6. مملكة بطليوس : تقع في غرب الاندلس وحكمها بن الافطس.
7. مملكة بلنسية : تقع في شرق الاندلس وحكمها الصقالية.
8. مملكة دانية وجزر البليار : تقع في شرق الاندلس في البحر المتوسط حكمها مجاهد العامري.

ويعتذر عرض جميع هذه الممالك والامارات – وعددها أكثر من عشرين(20) مملكة ،ولكن يمكن تقسيم هذه الكيانات او الدويلات على ثلاثة اقسام او احزاب رئيسة هي :

1**-الحزب الاول ( أهل الجماعة )** : وهو حزب أهل الاندلس الأصلين ، أي أهل البلاد الذين استقروا بها منذ فترة طويلة وانصهروا في البوتقه الاسبانية بمرور الزمن وصاروا أندلسيين بصرف النظر عن أصولهم سواء كانت عربية أو بربرية أو صقلبية أو من الاسبان المسيحيين.

**2-الحزب الثاني (الطارئون) :** وهم حديثو العهد بالاندلس من الذين جاءوا الى الاندلس مثل بني زيري الصنهاجيين في غرناطة وبني حمود الأدارسة في مالقة والجزيرة الخضراء وهم الذين نازعوا الأمويين على الخلافة بقرطبة.

3**-الحزب الثالث (الصقالية) :** وهم الذين قدموا الى الاندلس كمماليك وخدموا أمراء بني أمية ، ثم الفوا فئة خاصة مستفيدين من قربهم من الحكام سواء الامويين او بني عامر (الدولة العامرية) أيام تسللهم الى الحكم.

وبينما كانت الاندلس تعاني من هذا الوضع المزري كان النصارى الاسبان في الشمال –بالمقابل- يعملون على توحيد قواتهم بمساندة فرنسا والبابوية للانقضاض على العرب المسلمين وطردهم من الاندلس.

لجأ أغلب ملوك عصر الطوائف الى ملوك النصرانية في الشمال الاسباني للاحتماء بهم أو طلب العون والدعم العسكري من أجل المحافظة على كرسي الحكم مقابل دفع مبالغ من أموال المسلمين أو منحهم امتيازات وحقوق وأراضي وممتلاكات عامة ،وحمل بعضهم الهدايا الى حكام الممالك الاسبانية تملقا وإرضاءاً لهم.

تمكن الفرنسو السادس من توحيد مملكته تحت سيطرته وكان طموحاً مفعماً بالروح الصليبية ، فما أن فرغ من حرب الوراثة حتى بدأ هجومه الكبير على الاندلس وكانت خطته التي وضعها لتحقيق هدفه تقوم على ثلاث دعائم رئيسية وهي :

1. اذكاء نار الفتنة بين ملوك الطوائف لتبقى مشتعلة بأستمرار ومساعدة كل منهم في نزاعه مع الأخرين فربطهم كلهم بعجلته حتى كانوا يتسابقون في التقرب إليه.
2. ابتزاز أموالهم مقابل تلك المساعدات التي كان يقدمها إليهم فضلاً عن الجزية السنوية التي كانوا يدفعونها إليها إتقاء لشره بحسب أعتقادهم ،وهو بذلك يضعفهم اقتصادياً في حين أنه بهذه الأموال يعمل على تدعيم قوته .
3. تخريب أراضي كل من يحاول الخروج عن طاعته وذلك بالغارات التخريبية السريعة التي تخرب الزروع وتنهب المحاصيل وأقوات الرعية لاضعاف السكان عن الصمود واجبارهم على الهجرة منها الى أماكن أكثر أمناً ، فتخلوا تلك الاراضي والمواضع له حيث كان يقوم بعد ذلك بالاستيلاء على حصونها ومدنها وقراها الواحدة تلو الاخرى.

كانت إمارة طليطلة هي هدفه الاول فبدأ بمهاجمتها واحتلالها سنة 478ه /1085م ، على الرغم من أن المعتمدد بن عباد كان يؤدي له الجزية كغيره من ملوك الطوائف ،ولما كان المعتمد بن عباد يدرك انه لا يستطيع الصمود في وجه الفرنسو السادس ، لذلك اتجه ليوسف بن تاشفين أمير المرابطين في المغرب واستنجد به لانقاذ الاندلس وكان المعتمد يدرك أن ملكه يضيع سواء لفونسو او ليوسف بن تاشفين مفضلا تسليم مملكته للمسلمين على ان يأخذها النصارى.

فسارع هؤلاء بالعبور الى الاندلس بقيادة زعيمهم يوسف بن تاشفين في منتصف ربيع الاول سنة 479ه، وحين علم الملك الفونسو السادس بذلك رفع الحصار عن سرقسطة ، واسرع لمواجهة جيوش المسلمين ، وتم اللقاء في الشمال في بطليموس عند الزلاقة في 12 رجب سنة 479هـ واحرز المسلمون في هذه المعركة انتصارا كبيرا على جيوش الفونسو الذي فر من المعركة جريحا ، وولي من بقي من عساكره منهزمين بعد أن قتل معظهم .

وقد أدى هذا الانتصار الى تثبيت أقدام المرابطين في الاندلس فقضوا على ملوك الطوائف ووحدوا الاندلس . ثم ما لبثوا ان خرجوا عن البلاد ،التي عادت الى ما كانت عليه من الفرقة والتمزق. فوجه الموحدون جيوشهم الى الاندلس ، وكانوا قد ورثوا المرابطين في المغرب ، وتمكن الموحدون من تحقيق النصر على الاسبان في موقعة الارك سنة 591هـ /1195 م ، غير انهم ما لبثوا ان هزموا في موقعة العقاب سنة 609ه/ 1212م . التي حشد لها الاسبان الجيوش من فرنسا والمانيا وانكلترا وايطاليا ، واضطر الموحدون الى الرحيل عن الاندلس بعد ان انحسر نفوذ العرب المسلمين في مقاطعة غرناطة التي استمرت تصارع الزحف الاسباني الاوربي من سنة 630ه الى 897هــ 1492م حيث سقطت في هذه السنة . وانتهى بذلك آخر مظهر من مظاهر الحكم العربي الاسلامي في بلاد الاندلس الذي استمر ثمانية قرون.

وعلى الرغم مما ذكر عن عصر الطوائف من تمزق سياسي وحروب دامية الا أنه ظهرت جوانب ايجابية فيه منها :

1. أزدهار النهضة الفكرية والادبية وتنافس أمراء الطوائف على كسب ود الشعراء والادباء والعلماء والفقهاء حتى غدت بعض قصورهم منتديات أدبية وعملية ومن أبرز ظواهر هذا العصر أن يكون معظم الملوك والرؤساء من أكابر الأدباء والشعراء.
2. الدعوة الى توحيد الاندلس وجمع كلمة ملوكها : اذ قام بها عدد من العلماء ،فضلا عن الشعراء والامراء .
3. ايقظت الاوضاع العامة أهل الاندلس من سباتهم وذلك عما أصاب بلدهم من انقسام وتمزق سياسي وتجمعوا كمتطوعين مع المرابطين من العدوة المغربية بعد عبورهم الى الاندلس في حركة الجهاد للدفاع عن الدين والارض كما أزدهر نظام الفروسية وتطورت نظم القتال والاسلحة.
4. ازدهار الحركة العمرانية في بناء القصور والقلاع والحصون الدفاعية في مدن الاندلس التي لا تزال اطلالها شامخة في اسبنانيا كما في المريه ودانية من الحصون والقلاع والقصبات وغيرها.